

كلمة

الأستاذ الدكتور عمرو جلال العدوي، رئيس الجامعة

لمناسبة صدور التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية

يوم الاثنين ٢٢/١٢/٢٠٠٨

صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن خالد الفيصل

معالي وزيرة التربية والتعليم العالي السيدة بمية الحريري ممثلةً بـ

معالي وزير الثقافة الأستاذ تمام سلام

سعادة رئيس اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو الدكتور هنري العويط

أصحاب السعادة السفراء ورؤساء الجامعات والأمناء العامّين

الحضور الكريم

باسمي وباسم جامعة بيروت العربية أساتذةً وعاملين وطلاباً أرحّبُ بكمُ أجملَ ترحيب.

ويُسعدني غاية السعادة أن تُعقدَ هذه الاحتفالية المهمة في حرم الجامعة بالديبة. وهو يُمثّل نموذجاً حياً على إرادة تطوير الفكر الجامعيّ في العالم العربيّ لا من حيث الشكل الفيزيقي لكن من حيث التوجيه العام نحو التطوير والجودة المُتَّفَق عليها في العالم.

وفي هذا المقام نشعرُ بسعادة خاصة لصدور التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية الذي تبنته مؤسسة الفكر العربي وشارك في إعدادهِ مثقفون وأدباء وعلماء عرب وهو محاولةٌ وجهدٌ عربي يدعو للفخر، كَشَفَ بموضوعيةٍ ومنهجٍ علمي عن الواقع الثقافي العربي، وأوّلَى التعليم أهمية خاصةً باعتبارهِ حجرَ الزاوية في أي مشروعٍ للنهضة العربية.

وَنَشْكُرُ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ مَوْسَسَةَ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي تَسْعَى مِنْذُ إِنْشَائِهَا إِلَى الْإِسْهَامِ الْفِكْرِيِّ وَصَوْلًا إِلَى التَّنْمِيَةِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ، وَنَقَدَّرُ جَهْدَهَا فِي هَذَا الْمَجَالِ وَهِيَ الْآنَ بَارِزَةٌ فِي رِعَايَتِهَا هَذِهِ الْإِحْتِفَالِيَّةِ.

أَيُّهَا السَّادَةُ..

لَمْ يَعْذُ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلشَّكِّ فِي أَنَّ أَوْضَاعَ التَّعْلِيمِ الْجَامِعِيِّ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ تَقْرُضُ عَلَيْنَا فَرْضًا وَاجِبًا أَنْ نُعِيدَ النَّظْرَ فِي أُسُولِهِ الْجَوْهَرِيَّةِ، بِمَعْنَى أَلَّا تَسْتَهْوِينَا دَعَاوَى الْإِصْلَاحِ الْجَامِعِيِّ وَنَظَّلَ نَدْوَرُ فِي تَوْصِيَّاتٍ شَكْلِيَّةٍ لَا تَنْفَعُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ.

إِنَّ الْجَامِعَةَ الَّتِي نَرِيدُهَا جَامِعَةٌ تُوَاكِبُ الْعَصْرَ، وَتُلْبِي أَحْتِيَاجَاتِ الْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي هِيَ جُزْءٌ مِنْ حَرَكَةِ الْحَيَاةِ الْعَالَمِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ شَيْئًا أَمْ أَبِينَا، وَلَا تَكُونُ هَذِهِ الْمَوَاكِبَةُ فَاعِلَةً إِلَّا بِعُنْصَرَيْنِ ضَرُورِيَّيْنِ، أَوْلَهُمَا الْإِسْتِمْسَاكُ الْقَوِيُّ بِالثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُمْتَدَّةِ عِبْرَ الْقُرُونِ، وَهِيَ ثَقَافَةٌ حَافِلَةٌ بِالْإِنْجَازِ الْعِلْمِيِّ وَالْفِكْرِيِّ الَّتِي لَا يَنْكُرُهُ أَحَدٌ فِي الْعَالَمِ، وَثَانِيَهُمَا مُلَاحَقَةُ الْعَصْرِ، بِحَيْثُ نَكُونُ أَصْحَابَ إِسْهَامٍ حَقِيقِيٍّ فِيهِ، لَا مَجْرَدَ مُسْتَهْلِكِينَ لِمَا يُنتِجُهُ الْآخَرُ.

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ، كَيْفَ نُحَوِّلُ الْجَامِعَاتِ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ أَمَاكِنَ لِلتَّعْلِيمِ، إِلَى مَوْسَسَاتٍ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، أَيَّ أَنْ يَكُونَ التَّعْلِيمُ جِسْرًا نَحْوَ الْبَحْثِ وَلَيْسَ تَلْقِينًا لِلْمَعْلُومَاتِ، وَمِنْ ثَمَّ تَكُونُ الْجَامِعَاتُ الْمَصْدَرُ الطَّبِيعِيُّ لِنَشْرِ الْفِكْرِ الْعِلْمِيِّ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ مِمَّا يَسْتَمْتِرُ الطَّاقَاتِ الْبَشَرِيَّةَ الْهَائِلَةَ فِيهِ، وَهُوَ مَا سَوْفَ يُؤَدِّي بِالضَّرُورَةِ إِلَى إِنْجَازَاتٍ عِلْمِيَّةٍ تُنْفِضِي إِلَى التَّقَدُّمِ الدَّخْلِيِّ، وَإِلَى الْإِعْتِرَافِ وَالْإِحْتِرَامِ فِي الْعَالَمِ.

وَمِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ نَدْعُوَ الْجَامِعَاتِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ إِلَى الْإِتْفَاقِ عَلَى "مَعَايِيرَ لِلْجُودَةِ" بِحَيْثُ تُصْبِحُ مِثَاقًا وَاجِبًا عَلَيْهَا جَمِيعًا، وَبِحَيْثُ تُؤَدِّي إِلَى التَّكَامُلِ التَّعْلِيمِيِّ وَالْبَحْثِيِّ.

إِنَّا نَتَشَوَّقُ إِلَى الْيَوْمِ الَّتِي يَسْتَطِيعُ فِيهِ الطَّالِبُ فِي أَيِّ بِلَدٍ عَرَبِيٍّ أَنْ يُمَضِيَ فِتْرَةً مِنْ دَرَاوِسْتِهِ فِي جَامِعَةٍ أُخْرَى فِي بِلَدٍ عَرَبِيٍّ آخَرَ، وَهَذَا كُلُّهُ سَوْفَ يُؤَدِّي إِلَى شِيُوعِ ثَقَافَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ.

أُيها السادة....

إننا حين ننادي بمعايير للجودة في التعليم الجامعي في الوطن العربي لا نعي استبعاد المعايير العالمية التي لقيت قبولا واسعا ، لكننا نرى ألا ننساق وراء الصيغ "سابقة الصنع" ، إذ لا بُدَّ أولاً من "تمثلها" حتى تكون ملائمة للثقافة العربية، لقد ثبتَ يقيناً أن ما ينمو في تربةٍ قد لا ينمو في تربةٍ أخرى. وعلى ذلك فإن معايير الجودة التي يجب أن يكون عليها إجماعٌ عربيٌّ سوف تُؤدِّي بالضرورة إلى جودة النواتج "OUT Comes" وإلى جودة المُخرجات "Out puts". بما يدفعُ فعلاً إلى "التقدم" وإلى الحضور البارز على الساحة العالمية.

على أن ذلك كله قد لا يتحقق - فيما نرى - إلا بعددٍ من المبادئ الكبرى التي يجب أن تكون نُصَبَ أعيننا ونحن نبحث عن التقدم العلمي في الوطن العربي، ونكتفي من هذه المبادئ بما يلي :

١- أن يكون تأكيد "الهوية" الذاتية العربية هي المحور الأساسي في تخطيط التعليم الجامعي وفي إجراءاته العملية على كل مستوياتها وتنوعاتها، ولا بد أن يكون ذلك على أساسٍ من "المواطنة" الصحيحة بعيداً عن الفروق الاجتماعية والاقتصادية، أو الدينية، أو الطائفية، أو المذهبية أو غير ذلك مما هو معروفٌ من أركان المواطنة. ونحن نرى أن هذا الأمر جوهريٌّ من أجل غرس "الانتماء" إلى "الثقافة" العربية، وتعزيزه، وكل ذلك سوف يُثمرُ تقوية الثقة بالذات، والشعور بالكرامة، والإحساس بالمسؤولية .

٢- أن تكون "حقوق الإنسان" فوق كل اعتبار، ليس على هيئة محاضراتٍ أو دروسٍ كما هو حادثُ الآن ، بل على هيئة ممارسةٍ حقيقيةٍ يمارسها أعضاء هيئة التدريس ، لكن الأهم أن يمارسها الطلابُ في الدرجة الأولى، فالعملُ الطلابيُّ جزءٌ لا يتجزأ من جودة التعليم، ويجب ألا يكون هناك تضيقٌ عليهم، وأن يُحددوا أنواعَ نشاطهم بما يروونه ملائماً لرؤيتهم مع إلتزام "الهوية الذاتية" و"المواطنة" و"الانتماء" .

إن الجامعات هي المصانع التي تتخلق فيها العناصر البشرية للبناء، وتتكون فيها كوادِر القيادة في الحاضر والمستقبل، ولا يتحقق ذلك في قاعاتِ الدرسِ والمختبراتِ وحدها، ولكن في ممارسةِ الحقوقِ المشروعةِ التي تكفلها المبادئ المعروفة على مستوى العالم.

أيها السادة ...

إن هذا الذي ذكرناه قد لا يكفي لتحقيق الإسهام العربي العلمي في الحياة المعاصرة، إذ لا بد أن تتكون لدينا "رؤية" للعالم خاصة بنا، وتكون أساساً "موضوعياً" للتعامل والتعاون بيننا وبين الآخرين، وللوصول إلى ذلك نودُّ الإشارة إلى الاهتمام "بتعميق" الدراسات الإنسانية والاجتماعية التي تُشكِّلُ "الفكر" وتحدد "الرؤى" خاصة أن لدينا في هذا الأمر تراثاً ضخماً لم ينقطع ولم ينفصل عن الانجاز البشري العام.

أيها السادة ...

ليس من المعقول أن تسعى جامعات أجنبية كثيرة إلى إنشاء علاقات علمية مع الجامعات العربية، أو إنشاء جامعات مشتركة، دون أن يكون ذلك موجوداً بين الجامعات العربية. وقد يكون من الملائم أن ندعو إتحاد الجامعات العربية أن يكون راعياً لفكرة التعاون التي نراها ضرورية لتطوير التعليم الجامعي في العالم العربي .

ونحن في جامعة بيروت العربية نعتزُّ باعتزازنا خاصاً بأن هذه الجامعة وُلدت في إطار فكرة التعاون الحقيقي بين بلدين، لبنان ومصر، وأصبحت من خلال ارتباطها الأكاديمي مع جامعة الإسكندرية نموذجاً للتعاون بين البلدان العربية.

أيها السادة ..

وإذ تُشرفوننا اليوم في هذا المكان الرائع، في الحرم الجامعي بالديبة، فإنَّ أمني كبير أن يُلهِمنا التنوع الخلاق في لبنان ، أن نُحوِّل التنوع العربي إلى تكاملٍ بِناءٍ نحوَ التقدم، وإلى أن يعود الفكر العربي إلى احتلال مكانته المعروفة في عالم اليوم .

والسلام عليكم ورحمة الله...